

خدعة الثلاث ورقات ومصادقية تحديد الأوطان

(رد على غسان معيقل)

بقلم الأستاذ أدمون الشدياق

ورد في جريدة المستقبل عدد ٣٢٩ صفحة ١٨ مقالاً للسيد "غسان معيقل" ينتقد فيه السيد "كميل الميري" وجل ما لفتنا هو محاولة السيد معيقل التأنق والتظاهر بالتعامي عن الصغائر، وتلك محاولة كانت مكشوفة وغير مجدية واصطناعية كما لاحظنا ولاحظ القراء الكرام. والظاهر بأنه لعدم قدرته على الغوص في عباب المعنى فضل أن يخوض غمار المبني ويرسم لنفسه صورة المتعالي عن الصغائر لتمويه ما لم يخفى على من قرأ المقالة وهو ضعف حجته وحجة من ركب ركبته. فنحن قراءنا مقالة السيد الميري ولا نلوم السيد معيقل لعدم خوضه غمار المناقشة العلمية الهادفة التي السيد الميري من المجلين بفنونها، ونعذر السيد معيقل لأن الكاتب الذي يخوض معركة في مواجهة الحقيقة الساطعة قلما يجد سلاحاً فعالاً يمكنه من كسبها. الحقيقة لا تغلب ولذلك فإنه في كثير من الأحيان ركوب مركب التأنق والتظاهر بالترفع عن المقارعة هو افضل الأسلحة خاصة وان النتيجة كانت ستكون معروفة للطرفين.

إن الغريب العجيب هو تنطح السيد معيقل للرد بهذا الأسلوب الضعيف وللمرة الثانية والمقالين اللذين تناولهما في تأنقه وتفلسفه لم يكونا أصلاً موجهان له شخصياً. إلا أنه وهو كما رأينا لم يأت بما يستحق العرض ليكون عرض رأيه هو الحافز، وهو حتى لم يدل بدلوه في بئر الحوار القائم بل جُل ما فعله هو محاولة تأنيب السيد الميري على أسلوبه كأستاذ لغة عربية مؤتمن على تركة سيبويه. وحتى في ذلك لم يكن من الموفقين فقد استعمل كل فنون التأويل الممكنة في درسه هذا، وهو لم يتورع حتى عن تغيير وتبديل ما قاله السيد الميري في كثير من الأحيان ليظهره بمظهر المتجني. وحتى تتضح الصورة أكثر سنعطي أمثلة على ذلك، فهو قال في معرض تأنيبه للسيد الميري: "ثم أن السيد الميري يرى أن "الحركة الوطنية" تترحم على لبنان الذي دمرته". هذا ما لم يقله السيد الميري، بل قال: "علماً أن التجربة الديموقراطية التي مارسها لبنان منذ استقلاله وحتى فرض "الطائف" ورغم شوائبها الكثيرة تبقى أفضل من آلية كل الأنظمة العربية، كما أن الكثيرين من الذين حاربوها وأسقطوها من أرباب ما كان يسمى "بالحركة الوطنية" باتوا يترحمون عليها". هنا نرى بأن السيد الميري كان يتكلم عن التجربة الديموقراطية وبأن "الحركة الوطنية" باتت تترحم عليها في وقتنا الحاضر، ولكن السيد معيقل حور الكلام ليصبح

" أن الحركة الوطنية تترحم على لبنان الذي دمرته".

وفي انتقاده المتأنق قال أيضاً: "إن السيد الميري يحتكر شرف المواطنة وان كل من لا يرى رأيه ليس لبنانياً". إن الميري لم يقل ذلك في مقاله بل قال: "أن أصحاب الأقلام المتجنبة هؤلاء مأربهم غير لبنانية"، وهو بذلك لم يقل بأنهم ليسوا لبنانيين أو منع عنهم الجنسية أو احتكر مواظنتهم كما حاول السيد معيقل أن يوهمنا. بل قال: "بأن مأربهم غير لبنانية" وهذا قول واضح لا يحتمل التأويل.

أما دفاع السيد معيقل عن السائرين وراء السراب الذين هم مقتنعون بأوطان جُل ما يقال فيها أنها من صنع خيالهم وأوهامهم، والذي نصحهم السيد الميري بمراجعة إحدى العيادات الطبية فنحن لم نجد عضاضة في ذلك إلا إذا كانت تلك الأوهام غير موجودة وعندئذ فقط يكون كلام السيد الميري تجنياً وبديناً كما يقول السيد معيقل. ولكن بما أن الوطن الوهم الذي يتكلمون عنه غير موجود وقل ما يقال فيه أنه سراب، نحن نسأل السيد معيقل بماذا يريدنا والسيد الميري بأن نصف رجلاً نراه يمشي في طريق تؤدي إلى جبل يرفض أن يراه وهو كلما وصل إليه يرتطم به رافضاً أن يعترف بوجوده ويتابع الكرة ليرتطم به مرة أخرى وأخرى وأخرى، ومن ثم يتابع ما يفعل دون اتعاض حتى يلاقي حتفه في النهاية. ألا ترى يا أستاذنا المرشد المترفع المتأنق بأنه من واجبنا أن نحذر هذا الرجل الضال من مغبة عمله ونحاول مساعدته من خلال تشخيص مرضه على الأقل ليستطيع تناول العلاج المناسب ومن ثم الشفاء؟ فإننا إن سكتنا حفاظاً على شعوره نكون ساهمنا في القضاء عليه، ولهذا نعتقد أنه من الأفضل لفته إلى مرضه حتى لو أدى ذلك إلى ما يجرح شعوره، فالسكوت وعدم المواجهة مشاركة في الجرم، بل جبن وتخاذل. إن هذا حالنا مع المتكبرين للحضارة اللبنانية فهم برغم حضورها الطاعي والعملاق يحاولون بطريقة مرضية التعامي عن وجودها... فنعلم وألف نعم للسيد الميري في تحذيره الصريح والشجاع لأولئك المتكبرين للبنان ال ٦٠٠٠ سنة تاريخ وحضارة، لبنان ال ١٠٤٥٢ كيلومتر مربع وقبل فوات الأوان. نذكر السيد معيقل ومن يقول قوله بأن لبنان أبدي سرمدي لن يقوى عليه طاغية أو محتل أو مارق أو متكبر لوجوده ولحضارته ولدوره الرائد في العلوم والثقافة والوطنية والعطاء الذي لا ينضب. صحيح أن الحقيقة تجرح ولكنها كالكي بالنار الذي يشفي الجراح والعقور المزمنة، ودائماً لها الغلبة في النهاية... ولبنان الكيان والهوية والتاريخ والجذور هي الحقيقة بعينها.

وأما قول السيد معيقل بأن مقالة الميري ما هي إلا تجنياً على الذوق وعلى الأدب وأن الآخرين إن كانوا يؤمنون بالقومية السورية أو العربية أو المغولية فهذا شأنهم وأن أحزابهم شرعية ومرخصة في لبنان منذ عشرات السنين، فنحن بدورنا نسأل السيد معيقل: ما دامت تلك الأحزاب لا تؤمن بلبنان ولا بحضارة لبنان ودساتيرها لا تعترف بحدود لبنان وتدعي بأنه دولة من صنع الاستعمار والجنرال غورو، فلماذا هي تتباهى بأنها مسجلة كأحزاب فيه؟ لقد تشوشت الصورة بسبب التناقض الذاتي في المواقف، فنحن لا نفهم العبرة من أن يُسجل مطلق شخص حزباً في بلد لا يعترف بكيانه ويصر على نكران وجوده، أفلا يعني ذلك أن رخصة حزب ما من بلد لا وجود له شيء من أمور الخيال العلمي؟

أضف إلى أن المباهاة بهذه الرخصة فعل غريب لا يمت للواقع، وتصرف مريض صاحبه بحاجة إلى طبيب نفساني؟

المطلوب من السيد معقل ومن الذين يقولون قوله تحديد ما يريدون لنعرف كيف نتحاور معهم. فإما لبنان غير موجود بالنسبة لهم كدولة وككيان مستقل وبالتالي أحزابهم غير موجودة لبنانياً، وإما لبنان بلد ذو أسس ثابتة تاريخياً وحضارياً وثقافياً وله وجود ملموس وفاعل نفتخر نحن وهم بانتمائنا إليه وكل حزب لبناني مسجل لبنانياً موجود ومعترف به ونرفع له القبة في كل آن ومكان. أما أن يصبح إنكار وجود لبنان من خدع الثلاث ورقات وليس من هدف لها إلا التسلية والمجادلة الرخيصة فنحن وكل مؤمن بلبنان بلداً أزلياً سرمدياً لا نستمزج الخدع الرخيصة في تحديد الأوطان.

انتهى الرد

تورنتو في ١٩٩٨/٥/٢